ده احنا صغيرين اوي يا سيد

تصل الجدة روحية (الراحلة القديرة سناء جميل رحمها الله) الى بهو مبنى شركة البيه، عبد الحميد عز الدين (الراحل الرائع عزت أبو عوف رحمه الله)، وتطلب مقابلته، وبعد حوار قصير مع مكتب الاستقبال والذي لا يسمح لها بالصعود الى مكتب البيه بحجة أن الأمور العائلية لا تناقش في المكاتب وأماكن العمل، بل تناقش في البيوت، تغادر الجدة روحية وفي داخلها غصة، وفي محاولة أخيرة للقاء البيه، تنتظر أمام مقر الشركة، على الطرف المقابل من الشارع، وتشاهد البيه وهو يغادر ويهم بركوب سيارته، وكلما حاولت قطع الشارع الى جهة الشركة، تمنعها حركة السيارات المسرعة، الى ان تفاجأ بيد تمنعها من المضي، يد ابنها سيد (الراحل العبقري أحمد زكي رحمه الله)، لتصرخ، **سيد، ايه اللي جابك**، ليجيبها، **ايه اللي جابني ايه، ده انتي أمي، أول ما عرفت انك خرجتي قلت أكيد حتيجي هنا**، لتلتفت الجدة روحية نحو الطرف الآخر من الشارع وتقول بغصة ومرارة، **ده احنا صغيرين أوي يا سيد** (المشهد في الربع ساعة الأخيرة من الفيلم الرائع، اضحك الصورة تطلع حلوة، للراحل الكبير وحيد حامد، رحمه الله، مؤلفا، والمخرج العبقري، شريف عرفة، رابط الفيلم في نهاية المقال)

الجدة، التي كانت تعيش في السويس ثم أجبرتها ظروف الحرب الى المغادرة نحو منطقة أخرى، ثم أجبرتها ظروف التحاق حفيدتها بالجامعة الى الرحيل والاستقرار في القاهرة، لم تتصور ان يكون هناك عالم آخر، نوعية أخرى من البشر، تعيش معهم على نفس الأرض، الجدة، لم تكن تتصور ان مقابلة فرد عادي تتطلب تجاوز حواجز كبيرة، حواجز نفسية إنسانية، وحواجز ظرفية مكانية، لتقول بمرارة كبيرة، **ده احنا صغيرين أوي يا سيد**

ومع أن ابنها حاول تتطيب خاطرها بالرد انهم ليسوا **صغيرين**، الى أننا نراقب هنا موقفا إنسانيا حقيقيا، فالإنسان الذي يعيش تفاصيل حياته بطريقة معينة، ضمن حدود عالم بناه واستقر به، وعرف حدوده، لا يستطيع ببساطة التجاوب مع عالم آخر موجود معه على نفس الأرض، في نفس البلد، ولكنه لا يتماشى مع حدود عالمه ولم يكن في أبعد خيالاته موجودا او قابلا للتحقق، بل ان الانسان الذي يعيش روتينا معينا بصفة يومية سيتصعب العيش بروتين آخر ان كانت فترة التغيير قصيرة او ان لم يمنح فرصة للتأقلم والتماشي مع البيئة الجديدة. في موقف حصل معي مؤخرا، دخلت الى مكان مزدحم، مركز تجاري، في عطلة نهاية أسبوع، وبالتالي، يكون حجم الزوار أكبر وفئات الزوار متنوعة، وليس من طبعي الذهاب والتجول في الأماكن المزدحمة بدون هدف، وان كانت لدي غاية، أذهب واحصل على ما أريد وأغادر فورا، ولكني كنت في هذا المكان، ووجدت كرسيا فارغا ف جلست وبدأت في مراقبة وجوه الناس وحواراتهم مع مرافيقهم ومواقفهم المختلفة، وأحسست بعدم الانتماء الى المكان، وأن هناك حاجزا يمنعني من الاندماج، وخطرت ببالي جملة الجدة روحية، **ده احنا صغيرين أوي يا سيد**

أمر انساني آخر، لماذا كانت الجدة روحية تريد مقابلة البيه أصلا؟؟ ما الذي دفعها للذهاب الى ذلك المكان ومحاولة رؤية البيه؟؟ لقد كُسر قلب حفيدتها، ولأنها تحب حفيدتها بجنون، فهي تحاول التواصل مع الطرف الآخر لإرجاع الحق لحفيدتها، دافعها هو الحب، الدافع الذي جعلها في سنها الكبيرة هذه، تنزل من بيتها وتذهب لتقابل الرجل، وتحاول، لم يحالفها التوفيق، ولكنها تحركت، قامت بعمل شيء، وهذا الموقف الإنساني الكبير لا يمكن تفويته او اهمال الحديث عنه (يذكرني هذا الموقف بموقف آخر قرأته في كتاب (لهذا نحب) للرائع، تامر عبده أمين، فالجدة التي تريد بكل السبل ان يكمل

حفيدها تعليمه في كلية الهندسة في القاهرة، ولا يستطيع أبوه، ابنها، ان يكمل له المصاريف، تترك المنزل وتفتح بسطة لبيع الشاي والقهوة في محطة القطار، تضحي براحتها ولا يهمها سنها الكبير، فقط تريد عملا يجعلها تحصل على المال الذي يجب أن يدفعه حفيدها لمصروفات الجامعة، أي تضحية هذه، انسانة تحب وتدخل القلب بدون أي استئذان)

هناك عوالم كثيرة حولنا، تمضي كما يمضي عالمنا، لا بأس من التواصل معها ومعرفتها، ولكن التعايش والاندماج معها يتطلب وقتا ومجهودا، وهو أمر ليس اجباريا، الموضوع اختيار شخصي بحت

دمتم بخير وصحة طيبة

الرابع عشر من تشرين الأول/أكتوبر 2026

https://www.youtube.com/watch?v=0rs7jK96Ceo